

الفصل الثاني

أساليب التربية الإسلامية

● مقدمة :

قلنا انها القدوة ، والحوار ، والقصة والموعظة والحكمة والحدث
وقد يحدث غيرنا غير ذلك ..

- والقدوة تتقدم كل الأساليب ، انها تؤدي الى التربية عمليا .
- والحوار يخاطب الانتفاع أو العقل .
- والموعظة والحكمة تجمع بين خطاب القلب وخطاب العقل معا .
- والقصة تخاطب العاطفة والمشاعر وتستجيش في الانسان كثيرا
من الأشجان .

والحدث يهز ويربى من خلال الهزة العنيفة التي يحدثها داخل
لانسان ، ذلك ما تلمسه باذن الله بشيء من التفصيل ...

١ - أما القدوة :

- فانها المطلوب عملي تماما ينبع من فطرة الناس في المحاكاة
والتقليد ، واذا كانت النفس مفعورة كذلك على التقوى والفجور ،
نان القدوة الحسنة تؤثر ميلا الى التقوى ، ميلا الى السمو والارتفاع .
• مهما كانت التضحيات .

ولقد كان رسول الله ﷺ كذلك ، وكانت صحابته ، وكان التابعون ، ومن بعدهم بقيت القدوة في الطائفة المختارة في هذه الأمة لتكون عصمة لها من الزيغ والزلل وقد تقدم الحديث عن ذلك .
وبقى رسول الله ﷺ قدوة لنا . رغم انتقاله الى الرفيق الأعلى ،
بما نعلم من سيرته العطرة التي حفظها الله سبحانه كما حفظ سنته
استكمالا لحفظ الوحي الكريم : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (١)

ونحن مطالبون في مجال القدوة أن نقدم دائما النموذج العملي
خاصة ممن يدعى الدعوة أو يزعم التربية والا صح فينا قول الله
سبحانه وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولوا ما لا تفعلون .
كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » (٢)

وفي مكان آخر تحدثنا عن القوة باعتبارها مكملة للقدوة . . .
لكننا نحسبها جزءا منها ، فالقدوة الصالحة فيها عنصر القوة التي
تحدثنا عنها : قوة العقيدة ، قوة الخلق ، قوة الساعد .

والمثل الذي ضربناه من سيرة رسول الله ﷺ لما صرع أحد الكفار
فكان ذلك سببا لدخوله الاسلام ، هذا المثل جزء من سيرة رسول
الله ﷺ التي لا تزال تمثل القدوة والأسوة برغم انتقاله - ﷺ -
الى الرفيق الأعلى . .

(٢) الصف : ٢ ، ٣

(١) الحجر : ٩

٢ - الحوار :

جاء الحديث عن الحوار في القرآن : مرة بلفظ الجدل • ومرة بلفظ التحاج أو الحاجة • وثالثة بلفظ المراء •

والأصل في الجدل والحاجة أو المراء أنه مذموم ومحظور ، لوروده في أكثر الآيات وصفا للكفار أو للذين لا يتقبلون أوامر الله •

لكن القرآن أباح لونا من الحوار وصفه مرة بأنه « أحسن » وأخرى بأنه « عن علم » وثالثة بأنه « ظاهر » •

أما الأولى - فقوله تعالى : « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن » (١) •

« وجادلهم بالتي هي أحسن » (٢) •

وأما الثانية - فقوله تعالى : « ها انتم هؤلاء حاججنتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم » (٣) فقد أنكر لثانية لكنه لم ينكر الأولى •

وأما الثالثة - فقوله تعالى : « فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا لا تستفت فيهم منهم أحدا » (٤) •

وكانت نماذج القرآن في حوار الكفار سواء بطريق مباشر

(١) العنكبوت : ٤٦ (٢) النحل : ١٢٥

(٣) آل عمران : ٦٦ (٤) الكهف : ٢٢

أو بلسان الأنبياء دلت على جواز لون من الحوار هو الذى سبق لنا وصفه .

والحديث عن الحوار يطول وله مكان آخر (٧) .

لكننا فى مجال التربية قد نحتاج للحوار للاقتناع بالاستجابة ، ولنتم تزكية العقل مع تزكية القلب وليكون الأمر الثالث « تعلم الكتاب والحكمة » .

واستعمال الحوار فى مجال التربية ينبغى أن يكون بقدر حتى لا يؤدى الى النفور .

والافهام الذى هو فى مجال الجدال أو المناظرة ليس هدفا فى مجال التربية لكن الاقتناع أو الاقتناع قد يكون هدفا ، وقد يكون الحوار أحد الأساليب المؤدية اليه .

وفى أمثلة الحوار فى القرآن ، وفى السنة ، وفى السيرة ، وفى مجال تاريخ السلف الصالح ما قد يكون نورا . على هذا السبيل والله المستعان (٨) .

(٧) عالجناه فى علم مستقل « أصول الحوار والمناظرة » ، وفى بحث أساليب الدعوة . كتاب « مناهج الدعوة وأساليبها » تحت الطبع .

(٨) راجع ذلك فى المرجعين السابقين ، ونخذب الى معرفة حوار ابن عباس مع الخوارج حوار أبى حازم مع سليمان بن عبد الملك .

٣ - الحكمة والموعظة الحسنة :

تقدم الحديث عن الحكمة كأساس عملي للتربية .
والآن نتحدث عنها كأستلوب من أساليب التربية . وفي مكان
آخر تحدثنا بشيء من التفصيل عن الأمرين (٩) .

وفضلنا أن تكون الموعظة الحسنة هي حكمة القول ، وأن تكون
الحكمة أشمل من ذلك لتشمل حكمة السلوك وحكمة الموقف .
أما حكمة السلوك فقدمنا لها من سورة الاسراء اثني عشر
أمرا ونهيا تنتهي بقوله تعالى : « ذلك مما أوحى إليك ربك من
الحكمة » (١٠) .

ومن سورة لقمان تسع وصايا تقدمها قول الله : « ولقد
آتينا لقمان الحكمة » (١١) .

وأما حكمة المواقف ، أو مواقف الحكمة ، فقد أشرنا الى موقف
ابراهيم عليه الصلاة والسلام من أبيه وخطابه له ، وموقفه من
الكفار والأصنام ، وموقفه من النمرود ، وموقفه من الكواكب .
ثم نقلنا الى خاتم الأنبياء ﷺ لنشير الى موقف الصبر والحكمة
في « مكة » ، وموقف الجهاد في « المدينة المنورة » ، والى موقف التسامح
والعفو حين دخل منتصرا الى « مكة » .

(٩) مناهج الدعوة وأساليبها .
(١٠) الاسراء : ٣٩ . (١١) لقمان : ١٢

ومن تاريخ الصحابة والتابعين أشرنا الى مواقف لأبى بكر وعمر وعثمان وعلى فيها من الحكمة الكثير .

وبرغم أننا جعلنا الموعظة الحسنة من حكمة القول ، فأنه نشير الى ما فى الموعظة من نصح وتذكير يرقق القلب . والقرآن ملئ بأنواع المواعظ الحسنة .

فمنها ما هو تخويف وتحذير كخطاب نوح وهود وصالح لقومه فى سورة هود .

ومنها ما يرقق القلب تذكيرا بالآخرة وتذكيرا بما يؤدى اليها من موت ونشور ومن غير ذلك . والله أعلم .

٤ - القصة :

وقد سبق الحديث عنها عندما قدمنا نماذج من سورة يوسف عليه السلام وقد تكررت القصة فى القرآن الكريم وهى بالدرجة الأولى للتربية وأثرها أبعد من أساليب أخرى وهى كما تستهوى الصغار تستهوى كذلك الكبار حتى عد علماء الخطابة من بين وسائل التأثير ودفع المال استعمال القصة : « ويضرب الله الأمثال » (١٢) .

٥ - الحديث :

وقد تقدم الحديث عنه . والحدث بلا شك له أثره فيمن لا يتأثر

(١٢) ابراهيم : ٢٥ ، والنور : ٣٥ .

بالوسائل السابقة والمهم في المربي أن يحسن استخدام الحدث
للقريبة ، ليتلافى الآثار السلبية التي يمكن أن يتركها . .

فمثلا يمكن اذا وقعت هزيمة بجيش أو أمة أن يوجهه أو يوجهها
قادتها ، الى أن ذلك كان نتيجة البعد عن الله ، ثم الاقلال من الاعداد ،
وأن يوجهونهم الى حسن الصلة بالله ثم الى حسن اتخاذ الاسباب
« أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا ، قل هو من
عند أنفسكم ، ان الله على كل شيء قدير . وما أصابكم يوم التقى
الجمعان فبأن الله وليعلم المؤمنين . وليعلم الذين نافقوا . . » (١٣)
« ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت
عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين » (١٤) .

والنماذج كثيرة في كتاب الله ، وفي تاريخ الأمة الاسلامية .

* * *

(١٣) آل عمران : ١٦٥ - ١٦٧ .

(١٤) التوبة : ٢٥ .

خاتمة

- حاولنا أن نرسم خيوط أو خطوط نظرية اسلامية للتربية .
- فعرفنا أن الاستجابة لله وللرسول خطها الأول .
- وأن التركيز للعقيدة والأخلاق والتعبد والمعاملة خطها الثاني .
- وأن تعلم الكتاب والحكمة . خطها الثالث .

وعرفنا من قبل أنا نخاطب بهذا قومنا المسلمين ، وانهم -
وان قصرنا - قد ثبت لهم الاسلام بشهادة أن لا اله الا الله ، وأن
محمدا رسول الله ، وأن ما يقع فيه البعض - عن اخلاص في أكثر
الأحيان - من وصف لمجتمعنا بالكفر أو الجاهلية إنما هي أوصاف
بعيدة عن التكييف الشرعي الدقيق ، فضلا عما فيها من مجافاة
لأسلوب الدعوة وأسلوب التربية .

ثم عرضنا لوسائل التربية الصحيحة وأساليبها السليمة .



- ولقد نعلم من ذلك أن التربية الاسلامية اذ تستمد من الكتاب
والسنة ، واذ تهدف الى رضا الله سبحانه . . فهي تربية ربانية . . ومن
هنا تستمد نورها ، وتستمد فضلها على غيرها من ألوان التربية .
- بيد أنها مع ربانيتها . . واقعية . . اذ تنزل الى أرض

الواقع فتدرس حالة الأفراد والشعوب ، وتختار لها من الوسائل والأساليب ما يناسبها ، بيد أنها تحاول من خلال ذلك أن ترتفع بها الى المثال .

— وهى كما يظهر متوازنة ، ترعى الضرورات والحاجات بينما تنمو الى الأشواق ، فتدرك حقيقة الانسان أنه قبضة من طين ونفخة من روح ، فتصل الأرض بالسما ، وتربط الدنيا بالآخرة . .
دون ما افراط ولا تفريط .

— وهى فردية جماعية . . ترعى الفرد كلبنة ، لكنها تجعله جزءا من جسد تسرى فيه روح الاسلام ، وتجمعه مصلحة هذا الدين .

— ويظهر شمول الاسلام فى مجال التربية . . سواء فى شمولها للانسان . . قلبه وعقله وجسده أو فى شمولها للعقيدة والأخلاق والتعبد والمعاملات ، وفى النهاية شمولها للفرد والأسرة والمجتمع !

* * *

● أما أهداف التربية الاسلامية .

فيظهر بادىء ذى بدء أنها تكوين . . الفرد المسلم ، والبيت المسلم ، والمجتمع المسلم ، بلوغا لهدف الاسلام من اقامة دولته ، وجعل أمتة شاهدة على العالمين . . بيد أن هدفا أسمى يتسبق ذلك ويتلو ذلك . . هو الله . . الله غايتنا . . فى دَل عمل ، وفى كل منهج ،

وفي كل حال .. نتعبده بخطرة الفكر ، ونبضة القلب ، وحركة البنان
« قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين • لا شريك
له ، وبذلك امرت وأنا أولى المسلمين » (١) •

تلك كلماتنا عن التربية ..

نسأل الله أن نكون قد وفقنا فيها .. كما نسأله أن ينفع الله
بها أمتنا في مرحلة التكوين التي تمر بها بلوغا الى التمكين بمشيئة
الله (٢) •

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وآخر
دعوانا أن الحمد لله رب العالمين •

(١) الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣

(٢) راجع « دعوة الله بين التكوين والتمكين » للمؤلف •